مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

تحقق نبوءة في هذا العصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

تتحقق تباعاً نبوءات نبينا الكريم ﷺ؛ تلك النبوءات التي تتناول ما سيحدث بعد عصره وحتى قيام الساعة، وصولاً إلى دخول الجنة وما يلي ذلك. لقد أخبرنا نبينا الكريم ﷺ بما سيقع في المستقبل، طبيعة المشكلات التي سيواجهها الناس، لكي نكون على حذر منها. ومن بين هذه النبوءات: التشبّه بالآخرين، وتحديداً التشبّه بغير المسلمين. كانت الدولة العثمانية هي آخر دولة إسلامية. في ذلك الزمن، كان لكل دين تقاليده الخاصة؛ في المأكل، وفي أنماط الحياة، وفي سائر شؤون المعيشة، وكان كل مجتمع يلتزم بتقاليده. وقد مثّلت الدولة العثمانية آخر كيان إسلامي. بعد ذلك، وكما أخبرنا نبينا الكريم ﷺ "في آخر الزمان، ستتشبّهون بغير المسلمين". بل قال ﷺ "حتى لو دخلوا جُحراً (وهو مأوى صغير للجرذان تحت الأرض)، لدخلتموه خلفهم". وهذا بالضبط ما نشهده اليوم في كل مكان. فالناس يتشبهون بما يطرحه هؤلاء "المجانين"؛ من صيحات في الأزياء، وأنماط في الطعام، ووجهات للسفر، ونوعية الهواتف التي يجب اقتناؤها، والساعات التي يجب ارتداؤها. قد يبدو هذا هيناً ولا يمثل مشكلة في ظاهره، لكن الإشكالية تكمن في ارتداء ما لا يقبله الإسلام، وفي التخلي عن تقاليدنا واتباع تقاليدهم -وهي تقاليد ليست بالضرورة جيدة-. فلكل بلد خصوصيته. إذ على مدى مئات وآلاف السنين، اعتاد الناس في كل منطقة على ارتداء وتناول ما يلائم بيئتهم. فلكل منطقة ظروفها الخاصة، والالتزام بها يجنب الإنسان الكثير من المشكلات. أما اتباع ما لا يناسب بيئتك -أي تبني أنماط تخص مناطق أخرى- فلن يكون فيه خير لصحتك، ولا لنفسك، ولا للمجتمع من حولك.

.

أينما ذهبنا اليوم، نسمع كلمة -وهي أسوأ ما في الأمر- ألا وهي "العولمة". ففي كل مكان تذهب إليه، تجد الأشياء ذاتها. كان الكثير من الناس يعملون في مهنٍ تحافظ على التقاليد، كصناعة الملابس مثلاً، لكن كل ذلك قد اندثر الآن. أصبح الجميع يفعلون الشيء نفسه، ولا يرون شيئاً سواه؛ حتى بات كل شيء مألوفاً لدينا ومحفوظاً عن ظهر قلب. لقد جعلوا الناس لا يفكرون إلا في أمورٍ مثل "كيف أحصل على هذه القطعة لأرتديها؟" أو "كيف يمكنني تناول ذلك الطعام غير الصحي؟" -ماذا يسمونه؟ طعاماً رديئاً؟ "طعاماً غير صحي" أو "طعاماً أشبه بالقمامة"-. لم يعد الناس يأكلون مما تطبخه أمهاتهم وفقاً للتقاليد المتوارثة، بل صار الجميع يتطلعون إلى ما عند الآخرين. وهذا أمرٌ سيئ؛ لأن الله عز وجل خلق تنوعاً في الأشياء، ولم يقتصر الأمر على الخبز أو الأرز وحدهما. قد يكون الأرز مناسباً لمنطقةٍ ما، وهو مناسبٌ لمنطقتنا أيضاً، لكن لا يمكنك تناول الأرز يومياً بنفس الطريقة التي تتناول بها الخبز. لكن في منطقتنا، لا بد من إضافة اللحم أو الدهن إلى الأرز؛ لذا فهو يُعد طبقاً رئيسياً لدينا، بخلاف طريقتكم في تناوله كطبقٍ جانبيٍّ موازٍ للخبز. إذن، هو مناسبٌ لتلك المنطقة. ذات مرة، كنا نسافر بالقطار برفقة مولانا الشيخ في ماليزيا، متجهين إلى مكانٍ يبعد ثلاث ساعات عن جاكرتا. كانت المنطقة تعج بحقول الأرز، وكان المزارعون هناك نحافاً للغاية. فقال مولانا الشيخ "انظروا إلى هؤلاء الناس؛ تكفيهم حفنةٌ واحدةٌ من الأرز في اليوم". لقد مَنَّ الله عليهم بأن جعل في هذه الحفنة الواحدة من الأرز ما يكفيهم للبقاء وإعالة عائلاتهم وأطفالهم. ولو أجبرتم هؤلاء الناس على تناول شطائر الهامبرغر ليلاً ونهاراً، لما استطاعوا حتى الحركة!

مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

.

لذلك، يجب ألا تنظر إلى ما يريده الآخرون، بل يجب أن تنظر إلى ما يريده الله ﷻ، ما يريده نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم. إن الله ﷻ ونبيه صلى الله عليه وسلم يريدان منحك الأفضل، وتوفير ما تحتاجه حقاً؛ لا ما يحتاجه الآخرون لملء جيوبهم. في الماضي، كانوا يأتون ويأخذون كل شيء من هنا، أما الآن، فقد أصبح الجميع عبيداً لهم دون أن يضطروا حتى للمجيء إلينا! سابقاً، كان الأوروبيون يلقون القبض على الناس ويستعبدونهم؛ حيث نُقل الملايين بل المليارات منهم قسراً إلى أمريكا وأمريكا الجنوبية، ولم يُسمح لهم بالفرار. أما اليوم، فيلقي هؤلاء الناس بأنفسهم في البحر؛ فيغرق نصفهم، بينما يصل النصف الآخر إلى أوروبا أو أمريكا، حيث يواجهون صنوفاً من التعذيب تجعل حالهم أسوأ من حال العبيد. لقد كان حال العبيد في الماضي أفضل من حال هؤلاء الناس اليوم؛ إذ باتوا يقولون طواعيةً "خذوني، أنا عبدٌ لكم، خذوني". سبحان الله! إن الله ﷻ لا يرضى عمن يفعلون ذلك. يظن هؤلاء أن أولئك أعلى منهم منزلةً، لكن الله ﷻ يؤكد أنه لا أحد أعلى من أحد؛ فالمكانة الأسمى هي لمن يطيع الله ﷻ ويخاف الله ﷻ. ليس لمن ينتمي إلى أمريكا أو أفريقيا أو الهند أو أوروبا. فليسوا هم بأفضل؛ إذ لا يملكون أربع أرجل أو أنفين! الجميع سواسية، فقد خلق الله ﷻ البشر جميعاً على قدم المساواة. والأعجب من ذلك أنك إذا نظرت إلى الخريطة، ستجد أن الله ﷻ قد خصَّ المسلمين بأفضل الأراضي. صحيحٌ أن هناك بقاعاً أخرى، لكن الأراضي التي يعيش فيها الإسلام والمسلمون تظلُّ الأفضل في العالم؛ بل هي أيضاً أغنى بقاع الأرض، وهي أماكن يمكن للمرء أن يعيش فيها حياته كلها دون مشاكل. لكن عندما لا يستمع الناس الى الله ﷻ، ينسون الله ﷻ وينسون الآخرة، فإنهم يتركون كل شيء من أجل دنيا زائلة -لا تعدو كونها أياماً معدودة- وينطلقون نحو مصائر مجهولة، لا يدرون ما يخبئه لهم ولأبنائهم ولغيرهم فيها.

.

كثيراً ما كان مولانا الشيخ يروي هذه القصة. كان سيدنا عيسى عليه السلام في رحلة. وفي الماضي، كان هناك من الصالحين من يتخذون من الكهوف أو الخيام مأوى لهم. فبينما كان سيدنا عيسى يسير في طريقه، رأى رجلاً يعبد الله ﷻ. كان يتخذ خيمة أو ما يشبه المظلة ليتقي بها المطر. فسأله "منذ كم سنة وأنت تقيم هنا؟" فأجاب "منذ سبعمائة سنة". لقد كان الناس في تلك العصور يعمرون طويلاً بفضل ما منحهم الله ﷻ من طول العمر؛ وإن كان كثيرون منهم -كما هو الحال في زماننا- يعيشون أعماراً أقصر، كثلاثين أو أربعين سنة، إلا أن بعضهم كان يُكتب له عمر مديد. وحين سأله سيدنا عيسى عليه السلام عن مدة إقامته، أجاب الرجل "سبعمائة سنة". فسأله مجدداً "هل قضيت كل هذه السنوات السبعمائة تحت هذا المأوى؟" فأجاب "نعم". قال له سيدنا عيسى عليه السلام "ألم تفكر في توسيع هذا المكان قليلاً لتنعم ببعض الراحة؟ ألا تجد في ذلك مشقة كبيرة عليك؟" فردّ الرجل "لا حاجة لذلك؛ فنحن لسنا هنا إلى الأبد". فقال سيدنا عيسى "اعلم أن الناس في آخر الزمان سيعيشون ما بين سبعين إلى ثمانين سنة، ومع ذلك سيشيدون بيوتًا ضخمة ومباني شاهقة، ولن يكتفوا بذلك، بل سيظلون يطمعون في المزيد". فقال الرجل "لو قُدِّر لي أن أعيش سبعين سنة مثلهم، لقضيت عمري كله في سجدة واحدة، لا أرفع رأسي منها حتى توافيني المنية!" هؤلاء هم الذين عاشوا حياتهم لله عز وجل.

.

لذلك، يجب عليكم تقدير كل ما أنعم الله ﷻ به علينا، وأن تحذروا من اتباع أفكار الآخرين؛ فهي في الحقيقة أفكار سيئة جداً. أسوأ هذه الأفكار هي تلك التي يروجها أشخاصٌ يخدعون المسلمين. وبالنسبة للمسلمين، لا فرق بين صغير أو كبير أو غير ذلك؛ فالجميع عرضة لأن يُخدعوا. لذلك، علينا توخي الحذر وألا نتبعهم؛ فباتباع خطوة واحدة، تليها خطوة ثانية، ثم ثالثة، سيؤول الأمر إلى كارثة حقيقية ووضعٍ سيئ جداً.

مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

.

للأسف، نرى هذا في كل مكان في الدول الإسلامية؛ نراه في كل مكان. فالشباب يفتقرون إلى الخبرة، وكثيرٌ منهم يدركون حقيقة الأمور لاحقاً ويندمون على ما فعلوه سابقاً. لهذا، يجب علينا رعاية أبنائنا الصغار. كيف يمكننا القيام بذلك؟ أولاً، بأن نكون قدوةً حسنةً لهم؛ فإذا لم تكن قدوةً صالحة، فكيف سيقتدون بك؟ عليك أن تدرك أنه ليس كل ما تشتهيه نفسك يمكنك فعله. لذلك نقول، كما يقول نبينا الكريم ﷺ، تجنبوا هذه العادات والمستحدثات قدر الإمكان، فهذا خيرٌ لكم. النية مهمة جداً. نسأل الله ﷻ أن يعيننا. حتى وإن كان الأمر بسيطاً، أو كانت رغبتك فيه طفيفة، قل "لا، لا أريد هذا؛ لأنه يرضي نفسي. نفسي ستسعد بالحصول على هذا الشيء، أو ارتداء هذا، أو القيام بذلك". وهكذا، شيئاً فشيئاً، ستصبح، إن شاء الله، قدوةً للشباب أيضاً.

.

وهناك أمرٌ آخر يجب تربية الأولاد عليه. في الماضي، كان الأبناء يراعون والديهم ويطيعونهما، أما اليوم فالأمر مختلف؛ إذ أصبح الآباء والأمهات في البيت هم من يطيعون أبناءهم! فإذا طلب الطفل شيئاً، يسارعون بالقول "سأعطيك ما تريد، لا تقلق، لا تحزن، ماذا تريد؟" فيجيب "أريد هذه اللعبة، أريد هذا الهاتف، أريد هذا التلفاز". حتى لو قررت تلبية طلبه، فلا تعطه إياه في نفس اليوم؛ بل انتظر أسبوعاً أو شهراً، ليدرك قيمة ما يحصل عليه. لو أعطيته إياه اليوم، سيطلب شيئاً آخر بعد ساعة، ثم يطلب غيره بعد ساعة أخرى. لذلك، لا بد أن يشعر الطفل بشيء من المعاناة ليتعلم قيمة الأشياء.

.

هناك قصة. رحمة الله من كان يرويها. عن صبيٍّ كان مدللاً جداً. كان الأب غاضبًا من أسرته، فقال لهم في النهاية "سأعطيكم جنيهًا واحدًا كل يوم، وعليكم أن تعيدوه إليّ". وافق الابن. في اليوم الأول، جاء الابن بالعملة المعدنية، فقال له الأب "خذ هذه العملة وألقِ بها في المرحاض". وتكرر الأمر في اليوم التالي. وفي اليوم الثالث، قال الأب "عليك أن تعمل؛ فلن أعطيك المال بعد الآن". فألحقه بعملٍ، فصار يعمل من الصباح حتى المساء. وعندما عاد ومعه جنيهٌ واحد، ألقى به الأب في المرحاض. تعجب الابن وقال "ماذا فعلتَ! لقد عملتُ طوال اليوم من أجل هذا المال، وأنت ألقيتَ به!". وهكذا، تبيّن أن المال لم يكن له قيمة؛ فإذا كان الشيء بلا قيمة، فلا ضير من إلقائه في المرحاض.

.

هذا درسٌ يجب تعليمُه للأطفال. ففي وقتنا الحالي، يمتلك الأطفال كل شيء، حتى إنهم لا يعرفون معنى الملل؛ إذ يقضون أربعًا وعشرين ساعة مع هواتفهم. في الماضي، كان الإنسان قد يشعر بالملل أحيانًا حين لا يجد ما يفعله، وهذا في حد ذاته أمرٌ جيد للأطفال؛ فكل شيءٍ له فائدته. لقد خلقنا الله ﷻ لنتعلم، لنسيطر على أهوائنا ونفسنا. هذا أمرٌ بالغ الأهمية، كما ذكرنا؛ سواءً بالنسبة للفرد نفسه، أو للأطفال، أو للجميع. نسمع اليوم عن أجهزة وهواتف جديدة؛ فترى بعض الناس -في تصرفٍ ينمّ عن جنون- ينصبون خيامًا أمام المتاجر قبل ثلاثة أشهر من طرح الجهاز الجديد بانتظار الحصول عليه! لكن، لو طلبتَ من أحدهم أن يؤدي ركعتين، لقال لك "هذا أمرٌ صعب جداً!". سبحان الله. لقد أصبحت نفوسنا تسيطر علينا تمامًا. ومع ذلك، نأمل إن شاء الله أن ننجح في تطبيق ولو جزءٍ بسيط -حتى لو كان واحدًا بالمئة- مما نقوله؛ فهذا يكفي.

.

بارك الله ﷻ فيكم، وحفظنا الله ﷻ جميعًا. إن شاء الله نكون مع سيدنا المهدي عليه السلام. كان مولانا الشيخ يقول إنه في ذلك الوقت، ستزول كل هذه التكنولوجيا؛ فلن يبقى هاتف ولا إنترنت. وبدونها، سيكون الحال أفضل مما هو عليه في ظل التكنولوجيا، إن شاء الله. وسيكون ذلك أيضاً إيذاناً بقيام

مولانا الشيخ محمد عادل الربانی

الساعة، إن شاء الله. لكن الأهم من ذلك هو حاجتنا الملحّة إلى ظهور سيدنا المهدي عليه السلام ليضع حداً لهؤلاء الظالمين، سواء كانوا من المسلمين أو من غير المسلمين. فحتى بعض المسلمين يظلمون الآخرين، مبعدين إياهم عن الإسلام. إذ يعذبون المسلمين بقولهم "لا تفعلوا هذا! لا تفعلوا ذاك! أنتم كفار! أنتم مشركون!". لهذا السبب، نحن ندعو الله ﷻ أن يبعث سيدنا المهدي عليه السلام ليُطهّر هذا الواقع أيضاً. نحن لا ندعو لأنفسنا؛ فالحمد لله، حياتنا مستقرة ولا نواجه أي مشكلة. نحن نشكر الله ﷻ على كل ما أنعم به علينا. نحن لسنا بحاجة لأي شيء، إن شاء الله. شكراً لكم، بارك الله فيكم. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
24 تشرين الأول 2026/ 13 جمادى الأولى 1448
كوالالمبور، ماليزيا